المحكمة العليا رفضت طلبا لبيلين للاعلان عن حرب في لبنان.. وعليها الاستعداد للتحقيق بما جرى

الخلافات عميقة داخل قيادة المنطقة الشمالية وهيئة الاركان العامة.. وبعد الحرب سنسمع الكثير

■ باستثناء قراره الخاطىء الذي اتخذه بالاعلان عن وقف الحرب الجوية لمدة 48 ساعة في جنوب لبنان، والذي أتاح الفرصة لعناصر حزب الله أن تتنفس وألى اعادة التسلح الجزئي، فقد أدار رئيس الوزراء، ايهود اولمرت، هذه الحرب برؤية وتفكير جديدين (دخول تدريجي ومتأن للعمليات البرية في لبنان)، وبشجاعة عالية (السماح بالعملية التي جُرت في بعلبك). صحيح أنه توجد خلافات فيما اذا كان قد أخذ على عاتقه شروط البدء بنوع من القيود التي أخرت كما يبدو قدوم علامات النجاح هناك، ولكن هذه ستكون قضية للمؤرخين، لأنه لا أحد يعرف ماذا سيتولد عنه هذا اليوم، مثلا، ولكن حتى اليوم فقد وُلد كل الأداء الجيد.

الخلفية معقدة: لقد سبق لاهود باراك أن قرر، وبتعقل، أن تنسحب اسرائيل من لبنان باتفاق مع الأمم المتحدة. وهناك كانت توجد أسماء 120 من القتلى على لوحات الذكرى، وهو رقم كبير للغاية بالنسبة لهؤلاء الذين قُتلوا حتى الآن في هذه الحرب. والمجتمع الدولي لم يكن الى جانب اسرائيل، بل لم يكن ليعطي اسرائيل مثل هذا التأييد الذي أعطاها إياه الآن، كما كان عليه الأمر عندما قررت اسرائيل في أحد الايام الاحتفاظ بمنطقة أمنية كما تقرر أن تفعل الآن. ولكن باراك، بدوره ايضا قد اخطأ كثيرا عندما لم «يرد كما يجب» على اختطاف الجنود الاسرائيليين في تشرين الاول (اكتوبر) 2000، كمبرر لشن حرب، لأن ذلك ليس مجرد لعبة كلمات فقط.

فقط، عندما فقد باراك السلطة في شهر كانون الثاني (يناير) 2001، فقد أخطأ أرييل شارون وبنيامين بن اليعيزر وشاؤول موفاز على مدار السنين عندما غضوا أبصارهم وأغمضوا عيونهم عن تلك العملية التي تدور على خط الحدود الشمالية من عمليات تقوية وتعزيز مراكز وتحصينات حزب الله، وذلك حتى شاهدوا ما شاهدوه وضُربوا من حيث لم يتوقعوا على أيدي حسن نصر الله كما نرى الآن.

وحتى قبل أن يتضح ماذا حدث في هذه الايام الـ 21 من ايام المعارك التي دارت حتى الآن، وما الذي حدث لسمعة وقدرة الردع الاسرائيلية هناك، فمن الحق القول بأن اولمرت، وعمير بيرتس، ودان حلوتس، أحسوا، ليس قليلا، حجم الشعور بالخطر لوجود (حسب المعلومات) 13 ألف صاروخ لدى حزب الله. الذي نراه الآن هو أن نحوا من 2000 من هذه الصواريخ قد أُطلقت، وقتلت، حتى الآن، نحو عشرين من المواطنين. خسارة على كل نفس تموت، ولكن استمرار وجود تهديد لوجود الدولة أمر لا يُعقل ايضا. والى أن جاء اليوم الذي سقطت فيه الصواريخ على مدن وقرى ومواقع الشمال أكثر من أي يوم آخر، فان البورصة في تل ابيب انطلقت نحو الأعلى. لقد أيدت الانسحاب من لبنان عام 2000، ولست نادما على ذلك الموقف ولو للحظة واحدة. لكن الخطأ حدث بعد ذلك، ويتم اصلاحه الآن. وكذلك لست نادما على تأييدي لقرار الانضواء (الانسحاب)، فاسرائيل لا يمكنها الاحتفاظ بنحو ثلث اراضي قطاع غزة من اجل 7500 مستوطن. والادعاء بأن الانسحاب من هناك كان سببا لجلب الارهاب، يعتبر في نظري ادعاء فارغا لا أساس له، لأن الارهاب كان موجودا مع وجود غوش قطيف ومن غيره. المقدم أفيف كوخافي أُرسل لمحاربة الارهاب، وفعل كل ما يستطيع، وينجاح، لكن ذلك لم يكن ليغير مصير نتساريم، مثلا، بأي حال من الاحوال.

من الأجدر أن ننظر ونفكر بحقيقة واحدة فقط: أن الفلسطينيين وحزب الله فهموا وفسروا الخطوة الاسرائيلية أحادية الجانب على أنها علامة ضعف اسرائيلي، ولم ينظروا اليها على أنها خطوة تعني «المبادرة» وحُسن النوايا تجاههم، كما كانت اسرائيل تقصد بذلك، وأنها تسعى من اجل السلام. ولأن ذلك لم يكن ضمن حساباتهم، فلا بد أن ينزل الكثير من العرق عن جبينهم لكي تعود اسرائيل وتثق بهم من جديد، وهذا جعل القرار القادم بتنفيذ الانطواء في حكم القرار الذي تم إرجاء تنفيذه الى موعد مشروط بظروف اخرى.

الضفة الغربية ليست مثل قطاع غزة، ومجالها وحدودها ايضا ليسا مثل لبنان السيادية. لذلك، فان عودة اولمرت للحديث عن الانطواء هي في نظري عبارة عن خطأ آخر، بل خطأ مزدوج. لا يمكن الطلب من الشعب الاسرائيلي أن يتوحد وراء الحكومة في الوقت الذي يقف فيه على رأسها رئيس وزراء يُعيد التفكير وينوي تنفيذ خطة هي في الأصل كانت موضع خلاف، ولا يوجد اتفاق حولها. إن من يمشي ويتجول بين الجنود والضباط، يفهم بأنه في ايام الاجماع الوطني لا ضرورة للبحث عن خلافات لا داعي لها. لقد وجه اليه أحد الصحافيين الاجانب سؤالا. حسنا جدا، كان يجب عليه القول بأنه طالما بقيت هذه الحرب دائرة، فانه يرفض البحث في أية مشاريع سياسية ليست ذات علاقة بهذه الحرب.

ولكن المشكلة أن هذه الخطة (الانطواء) لم تكن ايضا مقبولة دون الموافقة عليها الآن، اذا فكر بها، دون موافقة واضحة من الشعب. وكما يقولون ذلك في أحد الاعلانات الكبيرة التي يرفعها البعض «زعماء كديما.. أدخلوا هذا الى رؤوسكم جيدا.. جيدا».

الخُضر على الخارطة

المقدم ألون فريدمان، هو الموجه للقيادة الشمالية في الجيش، الوجه الجميل للقيادة الشمالية الذي يعاني الانقسامات والتمزقات الداخلية، اضافة للخلافات بينه وبين رئيس هيئة الاركان. هو ابن 42 سنة، شمالي من مدينة هرتسليا، ومن طلائع غولاني، الذي عاد الى الخدمة في الجيش الاسرائيلي في أعقاب مقتل المقدم أراز غرشتاين في لبنان.

تحركت وتابعت خطواته على طول خط القتال، فوجدت ضابطا متزنا، مُفكرا، ويتمتع بقدر جيد من التفاؤل. فريدمان يعتقد، خلافا لما يفكر به قسم كبير من الجمهور الاسرائيلي، بأن جنود القوات البرية يقومون لخوض المعركة في الشمال ولأداء واجبهم، وأن أوسمة كثيرة ستوزع في أعقاب هذه الحرب. وقد أثبت جنود الاحتياط في القطاع الغربي من الجبهة بأنهم لم ينسوا أبدا دروس وعبر الحرب اللبنانية الاولى، رغم تدني مستوى تدريباتهم (حسب تقديري لانهم جربوها أكثر من الجنود الشبان من خريجي محاربة الانتفاضة).

السلطات المدنية هي التي ستقرر ما الذي سنقوم بالتحقيق فيه بعد انتهاء الحرب، لكن يتوجب على الجيش أن يقوم بواجبه ايضا. ليس يوم وقوع عملية الاختطاف فقط، ولا ضرب سفينة سلاح البحرية ايضا، وسلسلة طويلة من الأحداث غير الطبيعية، بل هناك ايضا مشاكل وأحداث خاصة جدا. فهل يجب على اسرائيل أن ترى بجنود الوحدات البرية مجرد «جيش إسناد» ومساعدة للقوات التي تعمل وتستغل القدرات التكنولوجية المتفوقة عند الجيش الاسرائيلي؟.

لقد كشفت هذه الحرب الخطة الخاصة المُعدة لكل عدة سنوات لدى الجيش الاسرائيلي، ولو لم تنشب هذه المعارك، فان الميزة والطريقة المفضلة لتغليب القضية التكنولوجية القائمة على استثنائية سلاح الجو الاسرائيلي، كانت ستزداد. بمعنى، أن كل قطاعات الجيش كانت ستبقى على حالها باستثناء سلاح الجو الذي يحظى بالتطور المستمر. ولكن الآن، أصبح يوجد كم من المعلومات الاستراتيجية الذي يوجب التفكير من جديد. والذي نفهمه من ذلك أن فريدمان مثلا، أن «الخُضر»، عادوا مرة اخرى ليأخذوا مكانهم على الخارطة. هؤلاء هم نصيب مهم ووافر في الوضع العسكري المتبلور في هذه الايام، يوم أمس كانوا يستعدون لانهاء المرحلة الاولى من مراحل القتال البري الذي يدور في مناطق جنوب لبنان. هناك يدور قتال قاس مع عناصر منظمة ارهابية مسلحة من النوع الذي يُطلق عليه اسم «حرب عصابات»، ومع ذلك، فان هذه العناصر مستعدة ومدربة للقيام بهجمات معاكسة، ولها خطط دفاعية وقدرة على القيام بعمليات هجوم منظمة، كما تفعل القوات النظامية. لذلك، على الحكومة، ومنذ ساعات الصباح الباكر، أن تقرر بالضبط ما الذي تريده، وما هي خططها القادمة.

هي تستطيع أن ترى وتكتفي بهذه المنطقة الضيقة التي أصبحت ضمن وتحت سيطرة الجيش الاسرائيلي، منطقة يمكن استعمالها كورقة للمفاوضات تلزمها من اجل تحقيق أهدافها السياسية وإتمام خطتها التي من المفترض أن تكون قد رسمتها في وقت سابق من هذه المراحل التي وصلت اليها الآن. والحكومة يمكنها المطالبة بتحسين وضع وحالة هذه المنطقة، وذلك بطلب فرض كامل السيطرة عليها وايصالها حتى حدود نهر الليطاني لتكون منطقة متواصلة وممتدة، ولكن، ما هو الشيء المفضل في نظرها؟ لا يحق للضباط التحدث عن ذلك علنا واثناء أداء الخدمة. ولكن، وبعد انتهاء الحرب، سيأتي دور حرب الكلام التي ستدور بين الجيش والحكومة من جهة، وبين قيادات الجيش الداخلية من جهة اخرى.

يُهودون رافض الخدمة... لحظة من هذه الحرب:

يوم الخميس سافرت نحو الشمال لكي أودع هذه النار، اعتقدت بيني وبين نفسي بأنه هنا تدور هذه المعارك. قبل نحو 369 شهرا عُدت من حرب بسيطة. بالنسبة لي هي حرب انتهت عند بلدة صغيرة اسمها «الطور» في شبه جزيرة سيناء. زرت صديقي ايلان جنني، الذي كان يُعالج في مستشفى هداسا عين كارم في القدس، وذلك في أعقاب اصابته في المعركة التي دارت للاستيلاء على مدرسة الشرطة في القدس (منطقة الشيخ جراح)، وكان قد مضى شهر تقريبا على انتهاء حرب الايام الستة في حزيران (يونيو) 1967.

تحدثنا حول مستقبله المدني (بعد الجيش)، وكل شيء كان يبدو في تلك الساعة عاديا وطبيعيا، وأتذكر أنني كتبت عنه في الصحيفة «ها هي الحرب تبتعد»، وفي ساعات الصباح، لدى توزيع صحيفة «هآرتس» في صناديق البريد عند مداخل البيوت والاماكن الاخرى، تلقيت مكالمة من والده تسفي، حيث أخبرني أن ابنه ايلان قد توفي اثناء الليل متأثرا بجراحه. وببساطة، فقد رفضت الحرب أن تبتعد وأن تنتهي.

في هذا الاسبوع ايضا، اعتقدت لبعض الوقت أن الحرب ستنتهي، ومرة ثانية فانها ترفض ذلك. فقد وصلت الى الشمال مع الاعلان المحتمل عن وقف اطلاق النار، وعندما وصلت واجهت يوما سقط فيه نحو 200 صاروخ على مناطق الشمال، وفي كريات شمونة وحدها سقطت صواريخ كثيرة، وواجهت الكثير من الضربات الصاروخية، كنت أشاهد الحرائق وأشم روائح كريهة تنبعث من تلك الانفجارات، اضافة لذلك الطقس الحار جدا. وهناك شاهدت المواطنة سيون بنش التي أحضرت زوجها الى نقطة تجمع قوات الاحتياط التي جرى استدعاؤها مؤخرا، شاهدتها وهي تقف هناك بلا حول ولا قوة. فبعد سقوط تلك الصواريخ، أغلقت أمامها حتى طريق العودة الى البيت، فهي من سكان بيت هيلل، وقد تركت الاولاد عند الجدة.. فالى الشيطان هذا الوضع.

معتادون على اصوات الانفجارات، واصل جنود ومجندات الفرقة 7 تناول الطعام في الساحة الموجودة دون الالتفات كثيرا لسقوط صواريخ الكاتيوشا التي كانت ولا شك تقلق الآباء والأمهات في البيوت خوفا على الأبناء، وأكثر ما فعلوه هو الاستجابة لمندوبي رجال الكنيس اليهودي «حفاتس حاييم» من حولون الذين وزعوا عليهم كتاب أدعية، فكانوا يقرأون ويطلقون النار.

سقوط صواريخ الكاتيوشا بالقرب من كريات شمونة لم يُحرك أحدا من المقهى هناك، وذكرني بيوم كان فيه دان مرغليت، متان شوحاط، وشاي ميرون، ثلاثتهم كانوا فوق عربة جيب واحدة، ويخدمون في قوات الاحتياط، قبل سنوات كثيرة عندما دوى الانفجار، واشتعل حريق وأخذوا يبحثون عن ملاذ آمن هناك، فيها لتلك الذكرى!.

رجل الاعمال، الرائد غرينبرغ كان قد تحدث مع عميت مشيح، من زعماء رافضي الخدمة في ذلك الوقت ومن اليساريين، فبالنسبة لعميت لا توجد مشكلة بأن يخدم في لبنان، فماذا كنت سأفعل لو رفض الخدمة والتجنيد في لبنان؟ غرينبرغ: «حكموه بالسجن لمدة 28 يوم سجن دون رأفة ولا تردد». نعم، ولكنهم يحبونه «فهم يهودون رافض الخدمة شيئا فشيئا» هكذا ابتسم شوحط.

الجليل كله يعاني من حالة طقس خماسيني، وفي الفندق القريب من كريات شمونة قابلت زملائي من قسم البث الذين لم اقابلهم منذ ثلاثة اسابيع. فهم اعتادوا كذلك على الاوضاع. اعتادوا على الحلاقة في السيارة، على سقوط الصواريخ، ورجال الاحتياط كانوا كما كانوا دوما. صاحب محطة في القدس، والى جانبه آخر من زخرون يعقوب ومدرب من تل أبيب. فخيرة البناة العاملين في هذه البلاد متواجدون هذه الايام قريبا من خط الحدود بانتظار الامر بالتقدم نحو الحدود ودخول المعركة والسير نحو مراكز اطلاق الكاتيوشا في العمق اللبناني لان استمرار ذلك يعيق استمرار تواجدهم في الصحف، في تل أبيب.

مشاهدات من الحرب:

السيدة الحيفاوية «تمناع أحيلئه» شاهدت عضو الكنيست «زهافا جلئون» في التلفزيون وغضبت. فهي ابنة 85 سنة. امضت حتى الان 71 سنة في البلاد وهي مواطنة قديمة تقطن في مدينة الكرمل. وقد شاهدت النائبة من حزب ميرتس في التلفزيون وسمعتها تقول بانه «لا يوجد غير العجائز والمسنين، الذين لا يملكون شيئا، وكذلك الاثيوبيين الذين ظلوا هناك دون قدرة على التغيير او التصرف، هؤلاء فقط هم الذين بقوا في حيفا التي تتعرض للقصف. لكنها (النائبة من ميرتس) لم تعرف بان هناك من عرض عليها الذهاب الى تل أبيب وانها رفضت تلك الدعوة، بل وزيادة على ذلك فهي تقوم بزيارة صديقتها ابنة 91 سنة، وانها تساعد كل من يحتاج الى المساعدة بمن في ذلك من يرغب في الاتصال الهاتفي ولا يملك هاتفا فقالت لي «ربما تقول للسيدة جلئون ان تتحدث ببطء، لكي يكون عندها الوقت الكافي لتفكر اكثر فيما تقول».

قرار للمحكمة العليا رفض طلبا لعضو الكنيست يوسي بيلين للاعلان عن حرب في لبنان. ولكن الحكومة تتصرف وكأن كل شيء يسير على نحو طبيعي. وذلك الى أن تصيبها الاشياء وتتعلق بها. ففي يوم 6/14 القادم، سيستقبل القاضي «اهارون باراك» من رئاسته للمحكمة العليا، ووفقا للقانون يجب نشر اسم المرشح/5 لخلافته حتى موعد نهاية 8/23. والوزير حاييم رامون لا يمكنه تنظيم ذلك وترتيبه، وذلك لان المستشار القانوني «ميني مازوز» والى أن تنتهي التحقيقات بخصوصه (حقيقة؟ يمكن الاتفاق في يومين) وبعدم وجوده لا بد من تقديم وزير من الاحتياط ليخلف مؤقتا الوزير رامون كوزير للعدل. فلا يوجد نظام قضائي جيد وسليم دون قائد. فاذا لم تكن الحكومة قادرة للتصرف كما يجب، فمن الانسب ـ ربما ـ طلب خطوة من المحكمة العليا، طلب فتح ملف اصلي، عنوانه يكون المحكمة العليا ضد حكومة اسرائيل.

دان مرغليت
كاتب دائم ومقدم برامج تلفزيونية
(معاريف) 2006/8/4

ديوان اولمرت يتأهب لخوض معركة الرأي العام الذي سيحكم على النتيجة

الانتصار بالضربة القاضية لن يتحقق على ما يبدو.. وساعة محاسبة النفس آخذة في الاقتراب

■ في الساعة الثالثة و11 دقيقة فجرا اتصل السكرتير العسكري بمنزل رئيس الوزراء، ليعلمه أن المروحيات في طريقها للعودة. اولمرت معتاد على مثل هذه المكالمات الليلية التي تطلب الاذن بالقيام بعملية أو تعطي تقريرا عن عملية انتهت بنجاح أو بمصيبة. كل هذه الامور لا تزعج روتينه الليلي أو نومه. ولكن في هذه المرة كان الأمر متعلقا بعملية غير اعتيادية من حيث القوات التي استخدمت فيها وعدد المقاتلين والمسافة الكبيرة عن الحدود ومستوى الخطورة، الأمر الذي جعل اولمرت ينتظر انتهاءها وأن يبقى مستيقظا.

أحد اسباب شن العملية على المستشفى في بعلبك كان الأمل في ايجاد معلومات تشير الى الجنود المختطفين من خلال الاعتقاد أنهم موجودون هناك من اجل الحصول على العلاج الطبي. ولكن هذا لم يكن الهدف الوحيد، فقد كانت ايضا محاولة للبرهنة لحزب الله أن يد الجيش الاسرائيلي قادرة على الوصول الى اماكن بعيدة كنوع من العمل الاستعراضي. هذا انجاز واحد من نجاحات هذه الحرب، كما يرونها في حاشية اولمرت: حزب الله تعلم من ذلك أن اسرائيل ترد على المساس بأراضيها السيادية بصورة غير متناسبة، وهي تقول له لا تحاول التحرش بنا. واذا هاجمتم فليكن الله في عونكم. القوة الردعية عادت، كما يدعي أحد الوزراء، واليوم أصبح كل من يريد أن يعرف مدركا لهذه الحقيقة.

أعوان اولمرت لم يخفوا تأثرهم وفرحتهم من العملية الناجحة في بعلبك. رغم سقوط أكثر من 200 كاتيوشا في ذلك اليوم على الشمال، لأنه ساد شعور لديهم بحدوث انقلاب وتغيير في الاتجاه. لاول مرة منذ ايام كثيرة يظهر الجيش الاسرائيلي كطرف مبادر ومباغت. وبالرغم من ذلك في نفس الصباح تسلم وزراء الحكومة وثيقة غير عادية. ورقة أرسلها سكرتير رئيس الحكومة، يسرائيل ميمون، تتضمن اقتراحا من النوع الذي لا يمكن رفضه: سلسلة رسائل يُطلب من الوزراء التعبير عنها واستخدامها في تصريحاتهم العلنية.

لماذا نقول أنها وثيقة غير اعتيادية؟ لانها المرة الاولى التي يرسل فيها اولمرت منذ دخوله لرئاسة الوزراء وثيقة تحدد لهم ما يقولونه في وسائل الاعلام. هذه الورقة تضمنت قضايا مأخوذة من خطاب رئيس الوزراء أمام هيئة رؤساء البلديات التي فصل فيها انجازات الجيش في القتال في مواجهة حزب الله.

ضمن قائمة الانجازات المذكورة يمكن أن تجد بنودا مثل: حزب الله لم يعد كما كان قبل عشرين يوما، خطيرا متغطرسا ومُهددا. هو تلقى ضربة قاسية وسيحتاج الى مدة طويلة حتى يعيد بناء نفسه. أو: إبعاد حزب الله عن الحدود الاسرائيلية وتدمير تهديده المباشر لها. وايضا: نجحنا في ضرب منظومته الصاروخية بعيدة المدى الموجودة في عمق لبنان، ودمرنا قياداته ومراكز التحكم فيه. القواعد العسكرية والمنشآت التي تعود لحزب الله في بيروت وبعلبك واماكن اخرى لم تعد كما كانت. منظومة الكاتيوشا في جنوب لبنان تضررت بصورة ملموسة. قيادة التنظيم مختبئة وتعمل في الظلام وهي موجودة في حالة ضغط وتقوم باطلاق الأكاذيب والمناورات الملفقة حتى تطمس الواقع.

من يبحث عن علامات تدل على نجاح أو عدم نجاح الحرب يمكنه أن يجدها في تلك الوثيقة التي وزعها ديوان اولمرت على الوزراء. سيكون هناك من يقولون ان الانجازات هامة بالفعل وإن القائمة تدل على أن الجيش الاسرائيلي قد حقق، أو على طريق تحقيق، الأهداف التي حددها المستوى السياسي لهذه الحرب. آخرون سيقولون إن هذه الوثيقة تبرهن على العكس، وانها تشير الى أن ديوان رئيس الوزراء يشعر أن هناك مشكلة في الرأي العام، وأن الامور لا تسير كما يجب.

هذا يمكن أن يحدث في معركة انتخابية، أو في الايام التي يكون فيها خوف من تدني الدعم الجماهيري. كل واحد يذكر مثلا، الرسائل التي كانت تصدر عن ديوان اهود باراك في الايام التي أصبحت فيها مكانته الجماهيرية في الحضيض. كما يمكن أن تكون الوثيقة التي أصدرها ديوان اولمرت مؤشرا على أننا نوشك على الوصول الى نهاية المعركة العسكرية، ولذلك هناك محاولة لتسويق انجازاتها. الخطابان اللذان ألقاهما رئيس الوزراء في هذا الاسبوع، والرسائل التي ترددت في وسائل الاعلام، منذ أمس الاول، هي بمثابة موازنة مؤقتة لهذه الحرب. نوع من الاجمال قُبيل الحسم. اولمرت وأعوانه يقومون منذ الآن باعداد الرأي العام في اسرائيل لمرحلة محاسبة النفس.

هو ليس قائد سرية

ايضا جلسة المجلس الوزاري في يوم الاثنين ليلا كانت بمثابة علامة على انتهاء الحرب. المؤشر على ذلك، كما قال أحد الوزراء، كان هيمنة وزيرة الخارجية وسيطرتها بالمقارنة مع الجلسات السابقة. العامل السياسي في الحكومة يحتل موقعا متزايدا في النقاشات والآثار. في غرفة المجلس الوزاري كانت هناك وحدة في الآراء واجماع على وجوب انهاء المعركة مع انجازات تضمن عدم عودة الوضع الى ما كان عليه. قالوا هناك إن هناك حاجة لتحقيق ثلاثة أهداف على الأقل لايقاف العمليات العسكرية: أن يتم ابعاد حزب الله عن الحدود، وأن تدخل قوة دولية الى جنوب لبنان مع صلاحيات، وأن يعود الجنود المخطوفون الى بيوتهم.

كان واضحا للجميع أن من المحظور وقف اطلاق النار وأن تمر فترة اسابيع بعد ذلك حتى دخول القوة الدولية، وأن هناك حاجة الى التوصل الى تسوية حتى يكون وقف اطلاق النار ودخول القوات الدولية في آن واحد. الدخول البري الآن والخروج عندما تصل القوات سيمكّن من بلورة شريط أمني بعرض 10 كيلومترات.

هذه الرواية التي يتحدث بها ديوان اولمرت. أما الرواية الأكثر عدوانية فتقول بأن المسوغ المنطقي من وراء دخول القوات البرية بسيط: هناك ضرورة لاحداث أزمة كبيرة حتى يتم تشكيل القوة الدولية وبناؤها بالصورة المطلوبة. شيء ما يستوجب استدعاء مثل هذه القوات الى جنوب لبنان. بكلمات اخرى: البديل الذي يواجهنا هو إما احتلال كل المنطقة ومن ثم تسليمها للقوة الدولية وهي نظيفة، وإما التسبب في وضع أزماتي يدفع العالم الى ارسال قوة تدخل فورية.

السؤال هو ألم يعرفوا ذلك من قبل. الدليل على عدم معرفتهم هو إهدار اسابيع ثمينة. أولم يثبت التدخل البري في وقت لاحق أنه كانت هناك حاجة الى القيام بذلك منذ بداية الحرب، أولم يحل انعدام تجربة اولمرت وبيرتس العسكرية دون رؤيتهما للصورة الصحيحة.

ما يمكن أن يعتبر نقصا، يعتبرونه في ديوان اولمرت أمرا ايجابيا بالتحديد: مشكلة رؤساء الوزراء الذين كانوا جنرالات وقادة أركان هو أنهم في مثل هذه الاوضاع من الحرب يتحولون الى قادة سرية في الميدان، ويديرون المعارك من خلال جهاز تحكم عن بُعد، فيضغطون الجميع. أعوان شارون يذكرون كيف جلس مع الخرائط في عملية «السور الواقي» مقدما النصائح ومُغيرا الاتجاهات والعمليات. أما اولمرت فهو ليس رئيس هيئة اركان ولا قائد سرية، وهو يترك الجيش يقوم بعمله.

اولمرت اتخذ قرارا دراماتيكيا عندما قرر تغيير قواعد اللعبة. الشرق الاوسط لن يكون كما كان عليه بعد الآن. هذا لن يكون شرق اوسط جديدا، ولكنه شرق اوسط آخر. كما يبدو ذلك الآن، الخطأ الأكبر الذي ارتكبه اولمرت كان في المجال السياسي تحديدا: مقولته بأن الحرب في لبنان ستضع الأسس لخطته السياسية. كل محاولات ديوانه لتقليص الضرر لم تُجد نفعا. هذه العبارة تماثل فتح انسداد في زُجاجة مشتعلة بعد خضها: ليس من الممكن ايقاف العملية. اولمرت كبا في الموقع الأكثر حساسية وفي الفترة الأكثر حساسية. الخروج من ذلك سيحتاج الى كل المزايا التي ينسبها مُعجبوه اليه. وأكثر من ذلك ايضا.

هذه ليست سدروت

الامتناع عن الدخول البري في الاسابيع الاولى من القتال يُفسر في حاشية اولمرت على أنه محاولة لتخفيف قدرة حزب الله على المقاومة. الرأي العام عانى من صدمة بكل ما يتعلق بلبنان. لو كانت الحرب قد بدأت بعملية برية لأثارت معارضة كبيرة. رئيس الحكومة اعتقد أن من الواجب اولا استغلال امتيازنا المطلق في الجو. الآن حيث يوجد لدى الجمهور استعداد لقبول ذلك، فقد أصبح الطريق نحو الشريط الأمني أكثر بساطة.

وفقا لمسار الامور الآن لا يبدو أن اولمرت رغب بتجهيز جنوب لبنان وانما الرأي العام الاسرائيلي، ذلك لأن الجمهور هو الذي حدد أهداف الحرب، ولن تؤدي أية بهلوانية لفظية الى تغيير هذه الأهداف. ايام الحرب تستطيل، وضبط النفس الذي تُبديه الجبهة الداخلية يدل على أن الجمهور لا يبحث عن إرضاء رغبات صغيرة وفورية. هذه ليست سدروت التي يمكن إهمال معالجتها.

الامر الأكثر أهمية في هذه الحرب هو ذلك الدمج بين الشمال وكل البلاد، وتضامن الدولة كلها مع هدف إزالة التهديد عن رأس الحدود الشمالية. هناك مطلب جماهيري صارخ وصل الى ذروته في هذا الاسبوع صارخ وصل الى ذروته رئيسة بلدية هرتسليا، عضو ميرتس ياعيل غيرمان. هي قالت أن من الواجب السير حتى النهاية، وأنه لا يتوجب وقف اطلاق النار بأي شكل من الاشكال.

في ديوان اولمرت يقومون الآن بتقليص مستوى التوقعات العالي وتخفيضه. هم يدعون أن اولمرت لم يقل أبدا إن الهدف هو منع حزب الله من اطلاق الكاتيوشا، ووجود صواريخ ذات مدى يبلغ 250 كم لدى حزب الله لا يعني أن علينا أن نحتل كل لبنان. ففي سورية مثلا توجد صواريخ مهددة لاسرائيل في هذه اللحظة، فهل يعني ذلك احتلال سورية ايضا؟ هم يقولون إن اسرائيل قد خلقت الآن معادلة جديدة تقول إن كل من يطلق الصواريخ على اسرائيل في أي وقت من الاوقات سيضطر الى سؤال نفسه اذا كان ذلك يعادل الثمن المترتب على ذلك من خلال رد فعلها. كما قامت اسرائيل بحشد الأسرة الدولية وتشكيل تحالف عربي معارض لطرف عربي، تقوم اسرائيل بمقاتلته. حزب الله فقد ميزته الاستراتيجية الوحيدة وهي القدرة على التسبب بالاحتكاك حول كل شيء وفي كل لحظة يشاء. في السابق كانت عدة رصاصات تكفي لاشتعال كل الجبهة، أما الآن فسيضطرون الى أخذ المخاطرة بمجابهة جيش دولي في هذه الحالة، وأن ثمن اطلاق الكاتيوشا هو تدمير لبنان.

الامر الواضح اليوم هو أن الأهداف التي وضعت في بداية الحرب لم تكن متواضعة، ولم تكن واقعية، ومن هنا فان الطريق نحو القاء المسؤولية على هذا الفشل على كاهل الجيش قصير. خلال عشرين يوما أعطوا الجيش كل ما أراده، كما يقول مصدر سياسي بارز. كل ما طلبوه حصلوا عليه باستثناء قصف محطات الطاقة، كما وعدت اسرائيل الامريكيين (أي عدم قصفها)، 3500 طلعة جوية هجومية، جيش مع ميزانية 5 مليارات يقاتل قبالة بضعة آلاف من المقاتلين مع ميزانية 100 مليون دولار.

في ديوان اولمرت يقومون الآن بتقليص مستوى التوقعات العالي وتخفيضه. هم يدعون أن اولمرت لم يقل أبدا إن الهدف هو منع حزب الله من اطلاق الكاتيوشا، ووجود صواريخ ذات مدى يبلغ 250 كم لدى حزب الله لا يعني أن علينا أن نحتل كل لبنان. ففي سورية مثلا توجد صواريخ مهددة لاسرائيل في هذه اللحظة، فهل يعني ذلك احتلال سورية ايضا؟ هم يقولون إن اسرائيل قد خلقت الآن معادلة جديدة تقول إن كل من يطلق الصواريخ على اسرائيل في أي وقت من الاوقات سيضطر الى سؤال نفسه اذا كان ذلك يعادل الثمن المترتب على ذلك من خلال رد فعلها. كما قامت اسرائيل بحشد الأسرة الدولية وتشكيل تحالف عربي معارض لطرف عربي، تقوم اسرائيل بمقاتلته. حزب الله فقد ميزته الاستراتيجية الوحيدة وهي القدرة على التسبب بالاحتكاك حول كل شيء وفي كل لحظة يشاء. في السابق كانت عدة رصاصات تكفي لاشتعال كل الجبهة، أما الآن فسيضطرون الى أخذ المخاطرة بمجابهة جيش دولي في هذه الحالة، وأن ثمن اطلاق الكاتيوشا هو تدمير لبنان.

الامر الواضح اليوم هو أن الأهداف التي وضعت في بداية الحرب لم تكن متواضعة، ولم تكن واقعية، ومن هنا فان الطريق نحو القاء المسؤولية على هذا الفشل على كاهل الجيش قصير. خلال عشرين يوما أعطوا الجيش كل ما أراده، كما يقول مصدر سياسي بارز. كل ما طلبوه حصلوا عليه باستثناء قصف محطات الطاقة، كما وعدت اسرائيل الامريكيين (أي عدم قصفها)، 3500 طلعة جوية هجومية، جيش مع ميزانية 5 مليارات يقاتل قبالة بضعة آلاف من المقاتلين مع ميزانية 100 مليون دولار.

نفس المصدر يدعي أن العملية البرية التي تتم الآن تجري بصورة مخالفة للرغبات. خلافا للتوقعات التي غرسها الجيش والمستوى السياسي، حسب قوله. الجيش لم يعتقد أنه سيضطر الى الوصول الى الوضع الذي تدخل فيه قوات برية كبيرة في عمليات مكثفة. رئيس هيئة الاركان بنفسه ترك الحكومة تفهم أنه لن يكون هناك دخول بري. هو قال لهم كلمة لا قاطعة بالنسبة لدخول القوات البرية. في ديوان اولمرت ينفون هذه الرواية كليا. لم يفكر أي أحد يعترفون هناك أن من الصحيح أن الجيش لم يطلب في البداية شن عملية برية، ولكن هذا الطلب وصل في الوقت الذي كان من الواجب أن يصل فيه.

المستشارون الجدد

اذا ليس من الغريب أن يُنقل رئيس هيئة الاركان الى المستشفى ثلاث مرات. في الجهاز السياسي يتعاملون بارتياب مع البيانات الصادرة عن مستشفى ايخيلوف حول وجود تلوث جرثومي. كل من عانى ذات مرة من التوتر يعرف مغص البطن في الجزء الأعلى الذي يعاني منه حلوتس، يقول أحد كبار الجهاز السياسي. التوتر والضغط والقرحة، كائنا ما كان، كله مرتبط بالعبء الموضوع على كاهله. ذلك لانه مع كل الاحترام والتقدير لذكاء بيرتس والسرعة التي يتعلم بها، إلا أنه شاهد ملف «سري جدا» للمرة الاولى عندما دخل الى وزارة الدفاع. اليوم، وبعد اربعة اشهر من دخوله الى المنصب، هو مضطر لمواجهة مثل هذه الحرب.

عندما كان موفاز وزيرا للدفاع عرف حلوتس أنه عندما يضع الامور على الطاولة فانها ستكون محط تحليل من شخص مجرب ومطلع قبل مرحلة وصولها الى شارون. أي أن المشكلة هنا هي أن كتف حلوتس وحده هي التي تتحمل المسؤولية وتصد الصدمات.

في الجهاز السياسي يقولون إن اولمرت جدد الصلة مع موفاز في الآونة الأخيرة وأنه يتحدث معه في أحيان متقاربة. ديوان اولمرت لا ينفي ذلك ويقول إن موفاز عضو في المجلس الوزاري الأمني، وعضو في تجمع السبعة، ونائب لرئيس الوزراء، من وزير دفاع سابقا.

الانتقادات ضد الجيش وداخله حول مسار الحرب تصل ايضا الى مسامع رئيس الوزراء. أعوانه يقولون إنه يعتقد أن الانتقادات غير نزيهة، وعديمة الأساس. هو معتاد على مقارنة عملية «السور الواقي» مع الحرب الجارية في الشمال. هناك يقول مقربوه، قاتل الجيش الفلسطينيين المبعثرين في مخيمات اللاجئين، أما هنا فهو يقاتل تنظيما محكما اجتاز عمليات تدريب طويلة في ايران وهو مزود بسلاح متطور وحديث.

في كل حروب اسرائيل كانت هناك حروب جنرالات، كما يقولون في ديوان اولمرت في معرض تفسيرهم للانتقادات داخل الجيش ـ بين الجنرالات الذين تسرحوا واولئك الذين لم يحصلوا على ما يرغبون فيه.

من المبكر قص الكوبونات

أعوان اولمرت يتحدثون عن اسبوع آخر من الحرب على الأقل حتى وقف اطلاق النار. القرار لن يُتخذ في الامم المتحدة قبل يوم الاثنين وحتى الثلاثاء. وسيكون هناك يومان آخران الى ثلاثة من موعد اتخاذ القرار الى موعد الايقاف المطلق.

اسبوع يكفي من اجل تحقيق كل الأهداف التي نرغب فيها. طوال الوقت يتحدثون عن اطلاق الكاتيوشا باعتباره المقياس الوحيد لنجاح اسرائيل، ولكن لو قالوا لنصر الله قبل الحرب إنها ستنتهي بمثل هذا العدد من الخسائر ومئات الآلاف من المشردين اللبنانيين، وأنه سيصبح خارج الحلبة السياسية في لبنان، وأن العالم كله سيتضامن مع اسرائيل ـ لما بادر الى هذه الحرب.

ديوان اولمرت يعتقد أن لحزب الله مصل